٢٥١

والاصحاب وملأ قلوبهم بالخوف والرعب من الملك عليهم وملأ نفسه وصاروا في اردى حالة من الملك
الملك ومن بعد مداولات ومجاولات جيئا بين بعضهم عزم الضباط الذين وقعوا في ورطة مع الوزير
على ان يتآمروا على الملك ومعاضدته عليه فوصلت اخبار هذا الائتمار الى اذان الملك الى ان
الوقت كان صحى وفات واشتغل ابن الحرام اشتغاله وبدل ان يسير هذا الجيش نحو العدو عاد
في حركته نحو العاصمة فلما وصل امام اسوارها ربت الحصار عليها واستمر اهل المدينة ومن فيها
مدة ثلاث شهور والضيق والقتيل في صدا فتكا متلفة في الحرب هم وملكهم وفي اخر الامر لما ضعفت
حالتهم ووهنت شوكتهم وفرغت مؤونتهم ابتدا الثغور فيهم ايضا وفي شهر مايو سنة ١٢٤١
بعد الميلاد صارت المدينة والملك حيزة لهذه القوة العاصية وجروا الملك المخوس من فوق
تخته واودعوه في السجن وما بعد مضي بضع ايام شرب كاس حمامه وما بعد سلطنة مدتها قليلة
في غاية من الارتباك استمرت سنتان وشهران ثم تولد من الفوضى والقتل والارتباك الذي
حل في عموم جهات المملكة بسبب ضبط المدينة والملك المنقضة لا غرين كما قيل في المثل المشهور
مصايب قوم عند قوم فوائد وذلك ان احد الجوريين اغتصب طريقه الى داخل السراية واصدر
من عنده امرا باعلان نفسه ملكا فكان ملكه قصيرا جدا وجيب الصباح على جلوسه على التخت و
اعتزالت وبشم لخليفته على التخت علاء الدين مسعود وكان علاء الدين من العايلة الملوكية

سلطنة علاء الدين مسعود

غير انه ما كان ولي عهد السلطنة وكان الوزير ما زال متمكنا في نفوذه وسلطته الى ان حاق
به وبال امره من بعد مدة قليلة كما اقتضته الارادة الالهية والحكمة الربانية وقتل شر
قتلة مذبوحا مذموما ممقوتا باغرا من الاشراف فانهم ما بقى فيهم جلد ولا صبر على تحمل
اعماله كبره وطاغوته وسفاهته وجرايمه وفي هذه السلطنة غار في سنة ١٢٤٤ بعد الميلاد
جيش من مغول التاتار على بنقاله من طريق الختا والتبت فارسل مسعود قوة لمساعدة
طوغان خان حاكم بنقاله فهزم المغول شر هزيمة وردهم على اعقابهم ناكصين على ادبارهم
وفي السنة التالية جاء جيشا اخر من المغل من نواحي قندهار والطالقان وزحف حتى
وصل نهر السند وحصر قلعة غوكا فساق الملك مسعود جيشه تحت قيادة شخصه على التاتار
فلما وصل الى شواطي نهر بياس رفع المغول الحصار وشرعوا في التقهقر واجلوا بالكلية عن
البلاد واراح الله منهم العباد ثم ان الملك مسعود صار خلعه من على تخته من بعد سلطنة لبثت
اربع سنوات بسبب غضب رعيته عليه من كثرة ادمانه على الشراب وانهماكه في الفجور والموبقات
وجلس مكانه على التخت عمه ناصر الدين محمود وقيل ان المغل كرروا غاراتهم على بانجاب
مدة تكونه واربعون سنة اي من سنة ١٢٤٤ الى سنة ١٢٨٨ بعد الميلاد وكذا دهر
متوحشي القبايل الهندية مثل الجيكوريون واهل الجبال من مالوه والاراضي الواطية الاسلامية
حتى وصلوا في تدميراتهم الى العاصمة تقريبا

وكان ناصر الدين محمود ابن السلطان شمس الدين التمش وكان ابوه عينه حاكم بنقاله
وعند موت ابوه اعتدت عليه اخته الملكة راضية وسجنته ولما خلعت من سلطانها خلص

سلطنة ناصر الدين محمود

هو ايضا من سجنه وكان حاويا لكافة الفضايل وبها جلس على تخت دلهي وفي مدة ما كان
مسجونا رفض قبوله المعاش الزهيد التي رتبته له اخته وعايلته وصار يتقوت من نسخ
مصاحف وبعض كتب علمية يتعيش باثمانها فلما خلص من السجن بامر ملك صاحب همة
ومروة احسن عليه بحكومة صغيرة فاظهر فيها معلوماته وبراعته وسخاءه وعمله ودرايته في تمكنه
بالاعمال العسكرية والحركات الحربية واشتغل بالحروب مع الهندو واظهر العدل والسياسة
والادارة الحازمة ومن اينع وسرعة تقدم الاقليم الحاكم فيه انجذبت قلوب الناس الذين
قاموا في الثورة الاخيرة اليه واعتمدوا عليه وعلى عقله وحزمه حتى انه عند جلوسه على التخت
قوبل بالتبجيل والاجلال والرضا العام فطابت امال الناس في اي حالة من الاحوال
وقال فرشته انه كان محب للعلم واهله حافظ لقدره لطف الفقرة والمساكين وفي وقت
ما عين وزيره الى وظيفته العالية قال له انه معتمد على شرفه في طاعته له وحسن سلوكه
وانه لا يلزم عليه ان لا يشتغل بما لا طاقة له على المجاوبة عليه عند الله وفي سنة ١٢٤٧
بعد الميلاد برز الى ميدان الحرب وسار في راس جيشه نحو مولتان ومنها اوقع مصايب العذاب
والعقاب على الجيكوريين بسبب ما هو واقع منهم من الفساد وما عداهم غارات المغول
واخذ منهم الوف من رجال ونسا وامر ببيعهم في الاسواق وامتنع عدة من قدما الاشراف
كانت تحت ايديهم اراضي الاقطاعية في بانجاب عن تقديمهم العوايد التي كانت جارية عندهم
عند ذخاير ومؤن للجيش فجردهم من القابهم وشرفهم وارسلهم الى دلهي وسجنهم فيها ومنح

٢٥١

ومنح اقطاعاتهم او التزاماتهم اولادهم او اقاربهم على شرط ان يؤدوا العوايد اللازمة
للجيش حسبما كانت عليه في العهود السابقة وبواسطة هذه الاعمال السياسية والاشغال الشديدة
صارت ايالتي المولتان والبانجاب في درجة عظيمة من الانقياد للطاعة وتبنت فيهما حكومة
الملك ناصر الدين محمود وفي سنة ١٢٤٧ بعد الميلاد ساق جيشه نحو ارض الدوواب بين نهري
الكنج وجومنا وتغلب على قلعة بيطنده من بعد حصار شديد ومقاومة عنيدة وهي الان
بندرشهر وسار في تقدمه في حركاته فالتقا في نواحي كورا اثنان من الراجات جامعا له
قواها سويا عليه فهزمهما ونهب بلادهما وجاس خلال ارضهما واسر اعدة من عايلاتهما
وكانا قبل ذلك تغلبا على كافة الاراضي الواقعة في جنوب نهر جومنا ونهبا بلادها
واقفرا ارضها وهي قسم من اراضي ممالك دلهي ودهرا محافظات الملك من مالوه الى كورا
فكانت هذه اسباب هذه الحرب وفي سنة ١٢٤٩ بعد الميلاد سار في راس قوة عظيمة الى
مولتان وكان سببه انه عين حاكمان في ناجور وغوكا وفي السنة التالية اجتهدا
في نقض بيعته وخلع طاعته فهزمهما شر هزيمة وارغمهما على ان يطلبا منه عفوه وكرمه فعفا
عنهما واعادهما الى حكومتيهما ثم بعد هذا وجه عزمه والتفاته نحو عقابه واحد من ملوك الهندو
اسمه جاهير ديو كان عصى عليه وحصن قلعة نوور تحصينا قويا واستعد لحمايتها على
اخر رمق فيه ولما قرب الملك وعساكر المسلمين منه سار لملتقاهم مع الجارة في راس
٥٠٠٠ حصان و ٢٠٠٠٠٠ مقاتل من المشاة فهزمه الملك ناصر الدين وسلم القلعة من بعد حصار
قصير ثم فتح شنقري ومالوه واقام فيهما احكامه وعين لها حاكما من طرفه وفي هذا
الوقت صد نايبه حاكم لاهور ومولتان هجوم مهول وقع في جهته من هجومات المغل وفي
نحو غلوق سنة ١٢٥٧ بعد الميلاد عبر جيش من المغل نهر السند ثم تقهقر عند قرب الملك
منه وفي سنة ١٢٥٩ بعد الميلاد تشكل اتحاد من الراجات ومن الراجا بوتيين في حوالي
وجمعوا قوة عظيمة ونهبوا البلاد والاراضي المجاورة لهم ولما قربت منهم عساكر دلهي تقهقروا
والتجاوا في القلاع الحصينة في جبال سيواليك وكذا في نواحي رنطنبهور وكانوا
حاصروها ومن بعد مدة قليلة نزل الراجا بوتيين من معاقل جبالهم وهجموا هجوما
شديدا على المسلمين المتغلبين على بلادهم وصدهم المسلمون على ادبارهم خاسرين وطردوهم الى
جبالهم مع كثرة القتل والاسر فيهم وقتلوا الروسا الذين وقعوا في الاسر وباعوا الباقي
من الاسرى في الاسواق ومن اغرب ما وقع في اواخر سلطنته من الاعمال السياسية المدونة في
تواريخ الامم ان سفارة وصلت الى ديوان دلهي من ديوان فارس فخرج الوزير لمقابلتها في
خمسين الفا من الخيالة راكبين على خيول عربية في اجود هيئة واعظم حالة مجللة في الملبوس
والتطقيم والفين من الفيلة وثلاثة الاف نفس من العرب حاملين اثقال الالعاب
النارية ودخل السفير الفارسي بهذه الحالة الجليلة في المدينة وسار من وسط شوارعها في وسط
الخيول العربية والة الحربية في ابهة وطنطنة حتى وصل الى سراية الملك وكان الديوان مرتب
ومنظوم في احسن منوال حاضر فيه كافة الاشراف وحكام المملكة والقضاة والمفتيين
او المفاتي والعلما وكبار الناس واعيان المدينة وكل واحد جالس في محله المعد له خلاف
خمسة وعشرون ملكا من عراق العجم وخراسان مع حواشيهم وخدمهم وكثير من الملوك الخراجية
الهندية كانوا حاضرين في يوم هذا الاحتفال وجالسين حول تخت الملك ومات هذا
الملك الذي ما زال اسمه باقيا في غاية من التعزيز والتبجيل في سنة ١٢٦٦ بعد الميلاد من
بعد ان شاطن سلطنة سنية بهية لبثت عشرين سنة وفي مدة جلوسه على هذا التخت الشرفي
المفتخر الباهر كان زاهدا متقشفا يصرف عموم الايرادات الواردة في خزينة المملكة في
لوازمات المملكة واصيا جانبا لا غير واستمر على اكتساب معايش نفسه وبيته من كتابة الكتب
وبيعها وكان يكتسب منها دون الطفيف الكافي لحالة رجل فقير وما كان مثل غيره من
الملوك والسلاطين سرايته ملانة بالجواري والسراري بل كان مقتصرا على زوجة وحدها
والزمها باشغال بيته وخدمة نفسه حتى ان الملكة عندما احترق اصبع من اصابعها في مرقة
الطبيخ وسالته خادمة لها تخدمها في الطبخ وفي اشغال الخدمات المهينة في البيت لم يقبل طلبها
ورفض قولها ومن اظرف النوادر انه اورى بعض من الكتابة الذي كان مستقلا بها على الدوام
في كل يوم في كتابة مصاحف القرآن لواحد من الامرا كان عنده من المحترمين فاشار له على